ظاهرة الاستلزام الحواري في التراث البلاغي العربي
"قانون الخبر عند السّكاكي أنموذجا"

The conversational implicature phenomenon's in the rethorical arabic's legacy The proposition law at Essekaki as model's

طالب الدكتوراه: عزيز عزالدين

الأستاذ الدكتور: بلقاسم دفة

قسم اللّغة والأدب العربي والفنون -جامعة الحاج لخضر- باتنة1 (الجزائر)

مخبر انتماء طالب الدكتوراه: مخبر الشّعرية، جامعة باتنة 1 .

azizazedine90@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/11/13 تاريخ القبول: 2020/05/02 تاريخ النشر: 2020/08/25

الملخص:

تروم هذه الدّراسة وصف ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث البلاغي العربي من خلال إسهام السّكاكي في كتابه "مفتاح العلوم"، وتحديدا في "قانون الخبر" الذي يُبرز مدى وعي الرّجل بهذه الظاهرة التي تناولها بول غرايس ضمن نظريته في الاستلزام الحواري. والسّكاكي معروف اليوم عند التداوليين بحديثه عن الاستلزام الحواري؛ لكن ليس من حيث أنّه مفهوما، وإنّما باعتباره إشكالا دلاليا يظهر من حين إلى آخر أثناء الخطاب.

وتسعى الدراسة كشف المعالم الرّئيسة لهذه الظاهرة عند السّكاكي الذي يمتاز عن غيره في وصفها، والتّدقيق في مناقشة مسائلها من جهة، ووضعها ضمن وصف لغوي شامل من جهة أخرى؛ يهدف من خلاله إلى ضبط العلاقة بين المعنى الصريح والمعنى المستلزم، إضافة إلى معرفة كيفية الانتقال من المعنى الصريح (الحرفي) إلى المعنى المستلزم حواريا.

الكلمات المفتاحية: الاستلزام، الحوار، غرايس، السّكاكي، المعنى، الصّريح، المستلزم.

Abstract

The phenomenon of " Arabic rhetorical conversational implicature " through the contribution of Essekaki in his book " The key to science ", and exactly in proposition law which highlights the writer's awareness of the phenomenon addressed by Paul Grice in his theory " The Conversational

implicature ". Today, Essekaki is known among pragmatists for his words about "conversational implicature "; but it is not because it is a concept, but rather by considering it as a semantic problem appears from time to time during speech.

This study aims to show Essekaki's major axes of phenomena, which is distinguished from others by its descriptions and by analyzing its problems in detail; on the other hand, it puts in an exhaustive language description. It aims through this to clarify the relationship between the obligatory meaning, as it aims to know how to go from the explicit meaning (literal) to the obligatory meaning in the dialogue.

Key words: Implicature, Conversation, Grice, Essekaki, The meaning, The obligatory, The explicit.

البحث:

تعتبر البلاغة العربية من أهم العلوم التي وصلت درجة الاكتمال في الدّرس اللّغوي القديم، كونها تناولت كل ما يتعلّق باستعمال اللّغة وممارستها؛ حيث سعت إلى إبراز العلاقات التداولية في اللّغة، عن طريق اهتمامها بدراسة التّعبير في مختلف أنظمته اللّفظية والتّركيبية والعلاقات القائمة بينها. فنشأة البلاغة عند العرب "قد حظيت بظروف علمية خاصة لم تحظ بها البلاغة الإغريقية ولا البلاغة الغربية إلاّ منذ سنوات قليلة فيما يخصّ هذه وبعد تأسيس اللّسانيات العامة"[(1)]. ويميّز اللّغويون العرب بصفة عامّة والبلاغيون بصفة خاصّة، بين ما يسمّونه استعمال العبارات اللّغوية على وجه الحقيقة، والاستعمال على غير وجه الحقيقة[(2)]، وعليه فإنّ النّقطة الفارقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المستلزم حواريا تظهر في كون المعنى "الأوّل تدل عليه العبارة بلفظها، وأنّ الثّاني تدّل عليه العبارة باستعمالها في موقف تواصلي معيّن"[(3)]؛ فتصوّر البلاغيين القدامى للمعنى "يقوم على التّمييز بين صنفين من المعنى: المعنى الحقيقي والمعنى اللاّزم، أو ما يسمّونه بالمعنى ومعنى المعنى"[(4)].

يجمع جلّ الدّارسين المحدثين أنّ ما قدّمه العرب في باب (الخبر والإنشاء)، لا يختلف عمّا جاءت به نظريّة الأفعال الكلامية التي قدّمها أوستين(J. Austin) وطورها سيرل(J. Searle)[(5)] ووسّعها غرايس (P. Grice)[(*)]، وما يؤكد علاقة مفهومي الخبر والإنشاء بالتّداولية، ما أقرّه أحمد المتوكل في قوله: "من المعلوم أنّ الفكر اللّغوي العربي القديم يتضمّن ثنائية (الخبر/الإنشاء) التي تشبه إلى حدّ بعيد الثّنائية الأوستينية (الوصف/الإنجاز)، كما يدل على ذلك تعريف القدماء للخبر والإنشاء"[(6)]. لذا سنحاول في هذه الدّراسة وصف ظاهرة الاستلزام الحواري[(**)] في التّراث

البلاغي العربي انطلاقا من تبيان ما اقترحه السّكاكي (ت 626ه)[***] في كتابه "مفتاح العلوم" وتحديدا في "باب الخبر"، ويمتاز السّكاكي (ت 626ه) عن غيره في وصف الظّاهرة –الاستلزام الحواري-، فهو يروم التّدقيق في مناقشة المسائل وعرضها من جهة، والشّمول من جهة ثانية، فقد تجاوز الملاحظة الصّرف إلى التّحليل الذي يضبط علاقة المعنى الصّريح بالمعنى المستلزم مقاميا، ويصف آلية الانتقال من الأوّل إلى الثّاني بوضع قواعد استلزامية واضحة، وتقعيد السّكاكي (ت 626ه) للاستلزام الحواري ورد مؤطّرا داخل وصف لغوي شامل، يسعى لتناول جميع الأنظمة اللّغوية (أصوات، صرف، نحو، بيان...)[7].

و يركّز الرّجل على دراسة العبارات اللّغوية ومناقشتها ضمن بنيتها المكوّنة لها، فيما ينصبّ بعضها الآخر على الأغراض الكلامية المترتبة عن النّطق بتلك العبارات، انطلاقا من كون الكلام إمّا أن يكون مفردا أو مركبا، والمركب يفترض فيه أن يكون مطابقا لمقتضى الحال، أي لما يجب أن يتكلّم به[8]، وهذا ما أكّده السّكاكي (ت 626ه) في قوله: "إنّ التّعرض لخواص تركيب الكلام موقوف على التّعرض لتراكيبه ضرورة، لكن لا يخفى عليك حال التّعرض لها منتشرة، فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضّبط بتعيين ما هو أصل لها وسابق في الاعتبار، ثمّ حمل ما عدا ذلك عليه شيئا فشيئا على موجب المساق"[9]، فالسّكاكي (ت 626ه) على دراية بأنّ دلالة خواص الكلام تختلف عن دلالة تراكيبه ضرورة، وذلك بحكم خصّيصة التركيب من جهة، وبحكم السّياق الذي قيلت فيه من جهة ثانية، وهذا ما جعله يولي اهتماما كبيرا لقضية "مطابقة الكلام لتمام المراد منه"، باعتبار أنّ جلّ العبارات اللّغوية يتغيّر معناها حسب السّياق الذي قيلت فيه، وهذا ما يجعلها تكتسب معنى فرعيا جديدا يضاف إلى المعنى الأصلي[10]؛ فالعلاقة بين المعنى الأصلي والفرعي، هي علاقة "قائمة في الأساس على تفرّع المعنى الثّاني عن المعنى الأوّل، وهذا يعني أنّ الفرع لا يفهم إلاّ من خلال الأصل، فلا يمكنه أن يستقل بنفسه، إذ لا يمكن تصوّر معنى سياقي ما إلاّ باستحضار المعنى الأصلي الذي خرج منه، ثمّ خرج عنه، وهذا ما سيجعل المعنيين متّصلين أحدهما بالآخر، ويجعل الفرع في إثر الأصل"[11].

وتجدر الإشارة إلى أنّ عبارة "تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"، توحي لنا أنّ السّكاكي (ت 626ه) يجمع بين النّظام الدّلالي والتّداولي في علم المعاني، وهذا ما نجده في الدّراسات اللّسانية الغربية المعاصرة حيث تُقسّم دراسة القول إلى أنظمة ثلاثة، وهيّ[12]:

1. **النّظام التّركيبي:** ويُعنى بتحديد قواعد التّأليف التي تنشئ، أو لا تنشئ سلاسل تامّة التّشكّل؛ أي جملا لغوية؛ أي التّركيب.

2. **النّظام الدّلالي:** ويهتم بعلاقة العلامات بمراجعها أو مدلولاتها، ومدلول جملة ما، أو ما تُحيل عليه، وهذا ما يتطلّب وسائل شديدة الدّقة لتحديد مدى استيفاء كل جملة لشروط الصّدق والمفاهيم الأساسيّة في هذا الطّور مبنية على ثنائية (الصّدق والكذب).
3. **النّظام التّداولي:** وتُدرس فيه علاقات الرّموز بالمؤولين لها، ويبحث فيه عن مدى استيفاء القول لشروط المقام، وقدرته التّأثيرية.

وإذا كانت دراسة الاستلزام الحواري عند السّكاكي (ت 626ه) تحتّم الاهتمام بهذا الأخير –النّظام التّداولي- كونه يُسعفنا في الكشف عن الإمكانات المختلفة لاستعمال اللّغة، والطّريقة التي تتمّ بها، انطلاقا من كون هذا النّظام يتشكّل من علمي المعاني والبيان؛ ذلك أنّ علم المعاني "يتضمّن مقولات وقواعد تهمّ الأغراض التي تخرج إليها الأساليب، أمّا المقولات فمن قبيل مقولة الإفادة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، والمعنى السّابق للفهم أثناء العملية التّواصليّة. أمّا القواعد فيُراد بها القواعد التي تحكم الانتقال من الغرض الأصلي إلى الغرض الفرعي"[13]، فعلم المعاني عند السّكاكي (ت 626ه) هوّ "تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها في الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بتراكيب الكلام الصّادرة عمّن له فضل تمييز ومعرفة، وهي تراكيب البلغاء، لا الصّادرة عمّن سواهم"[14]، ونفهم من كلام السّكاكي (ت 626ه) أنّ علم المعاني يكمن في دراسة المعنى ضمن علاقته بقائله من جهة، ومراعاة السّياق أو المقام الذي يتمّ فيه من جهة أخرى، ليتمّ التّمييز من خلال قواعد محدّدة بين المعنى الصّريح والمعنى المستلزم حواريا. و ممّا سبق تتبادر إلى أذهاننا الأسئلة التّالية:

-ماذا نقصد بالاستلزام الحواري؟

-كيف يمكننا الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم حواريا؟ وكيف تتم هذه العملية؟

-ما هيّ القواعد التي تجعلنا نفرّق بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي من منظور السّكاكي (ت 626ه)؟

المعنى الأصلي والمعنى المستلزم للخبر عند السّكاكي (ت 626ه):

الخبر عند علماء البلاغة هو "ما يصلح أن يقال لقائله إنّه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان صادقا وإن كان غير مطابق له كان كاذبا"[15]، ففي قولنا السّماء تمطر، يمكن للمتلقّي أن يحكم على هذا التركيب بالصّدق أو الكذب، انطلاقا من مطابقة الكلام للواقع؛ فإن طابقه وكانت السّماء تمطر على وجه الحقيقة كان الخبر صادقا، وإن خالف التركيب الواقع كان الخبر كاذبا[16].

ولهذا فإنّ الخبر "لا يعدو أن يكون الحكم بمفهوم لمفهوم، غير أنّ هذا الحكم إمّا أن يتم بالنّظر إلى الواقع، أو بالنّظر إلى اعتقاد المتكلّم؛ بمعنى أنّ احتمال الخبر للصّدق والكذب يتم انطلاقا من مطابقة ذلك الحكم للواقع أو عدم مطابقته له، أو انطلاقا من مطابقته لاعتقاد المتكلّم أو عدم مطابقته له"[17].

أمّا الجاحظ (ت 255ه)، فينكر انحصار الخبر في الصّدق والكذب، ويرى أنّه ثلاثة أقسام: صادق، كاذب، غير صادق ولا كاذب، "إلاّ أنّ المعمول به في أوساط الدّارسين هوّ انحصار الخبر في الأقوال الصّادقة أو الكاذبة على أساس مطابقة الحكم للواقع أو عدمه"[18]؛ فالخبر الصّادق هو المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنّه مطابق، والخبر الكاذب هو الذي لا يطابق الواقع مع الاعتقاد بأنّه غير مطابق.

أ/ **المعنى الأصلي للخبر عند السّكاكي (ت 626ه):** للخبر استخدامات مختلفة، وذلك بالنظر إلى اختلاف سياقات وروده، وعلى حسب السّكاكي (ت 626ه)، فالخبر ثلاثة أنواع، وهي[19]:

- ✓ **الخبر الابتدائي:** وهو الذي يُلقى إلى من هو خالي الذّهن بقصد إفادته، فيتم نقشه في ذهنه ثبوتا أو انتفاءً، ومثال ذلك قول الشّاعر[20]:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبِي خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

ويكون هذا الخبر "خاليا من المؤكّدات لأنّ المخاطب خالي الذّهن من الحكم الذي تضمّنه"[21]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ **[سورة النّور 47]**، ففي هذه الآية الكريمة جاء الخبر من غير مؤكّدات لأنّها أُلقيت إلى مخاطب خالي الذّهن.

- ✓ **الخبر الطّلبي:** وهو الخبر الذي يُلقى إلى المخاطب وهو يتردّد فيه ولا يعرف مدى صحّته، ويتوجّب على المتكلّم إدخال اللاّم في الجملة، أو إنّ لتقوية الخبر، ومثال ذلك:

قال تعالى:﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[سورة القصص 20]. و قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[سورة يوسف 08]

قول جرير:

إِنَّ الْعُيُــونَ التِّي فِي طَرْفِهَــا حَــــــوَرٌ قَـتَلْتَنَــا ثُــمَّ لَــمْ يُـحْيِينَ قَتْلاَنَــا

قول البحتري:

هَــلْ يــجلبنَّ إِليَّ عَـطْفَــكَ مَـوْقِــفٌ ثـبتٌ لــديكَ أَقُــول فِــيهِ وَتَسْمَعُ

ففي هذه الأمثلة المبسوطة أُكّد الخبر بإحدى أدوات التّأكيد مثل: إنّ في الآية الأولى والبيت الأوّل، واللاّم في الآية الثّانية، ونون التّوكيد الثّقيلة في "يجلبنّ".

- ✓ **الخبر الإنكاري:** وهو الخبر الّذي يُلقى لمن هو معترض على ذلك الحكم. الأمر الذي يستدعي توظيف أدوات التّوكيد لترسيخ ذلك الحكم، ومثال ذلك[22]:
  - إنّي صادق، لمن يُنكر صدقك.
  - إنّي لصادق، لمن يبالغ في إنكاره.

وعليه قوله تعالى:﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۝إِذَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُواْ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝قَالُواْ مَا أَنْتُمُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنَ أَنتُمُ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ۝قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝﴾ **[سورة يس 13-16]**، حيث قال في المرّة الأولى ﴿ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ لمّا أنكروا وكذّبوا، وفي الثّانية ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ تأكيد بحرفين لمّا ازداد إنكارهم وتكذيبهم[23]. فكلّ زيادة في المبنى تؤدّي إلى زيادة في المعنى، وزيادة المعنى في التراكيب السّابقة النّاشئ عن إضافة "إنّ واللاّم"، هو تأكيد المعنى

ويستدعي ذلك التأكيد بحسب حال المتلقي، بين خلوّ الذّهن أو التّردّد أو الإنكار. ويمكن صياغة مقتضيات الحال بالنّسبة للأنواع الثّلاثة كما يلي[24]:

- إذا كان القول مجرّدا من التّوكيد فتيقّن أنّ المخاطب خالي الذّهن من الحكم والمقام مقام إخبار على الابتداء.
- إذا أُكّد القول تأكيدا ضعيفا فاعلم أنّ المخاطب متردّد في الحكم والمقام مقام نفي للشّك.
- إذا أُكّد القول توكيدا قويّا فاعلم أنّ المخاطب معاند للحكم والمقام مقام ردّ على إنكار.

ونخلص إلى أنّ الحكم على الخبر بأنّه ابتدائي، أو طلبي، أو إنكاري، يكون على أساس ما يعلمه المتكلّم عن حال المتلقي في كونه خال الذّهن، أو متردّدا، أو مُنْكِرا.

ب/ المعنى المستلزم للخبر عند السّكاكي (ت 626هـ):

قد يأتي الكلام خارج ما يقتضيه الظّاهر، ويأتي في سياقات تفرض على المتكلّم إخراجه على خلاف ما يقتضيه الظّاهر، وعليه تتولّد أغراض مختلفة، يحدّدها السّياق والأحوال المصاحبة للتّلفظ، وهذا ما عبّر عنه السّكاكي (ت 626هـ) في قوله: "ثمّ إنّك ترى المفلقين السّحرة في هذا الفنّ ينفثون الكلام لا على مقتضى الظّاهر كثيرا، وذلك إذا أحلّوا المحيط بفائدة الجملة الخبرية، وبلازم فائدتها علما محلّ الخالي الذّهن عن ذلك لاعتبارات خطابية،مرجعها تجهيله بوجوه مختلفة"[25]، ومن بين تلك الأغراض ما يلي[26]:

1. **إظهار الضّعف:** في قوله تعالى عن زكرياء عليه السّلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَ لَمَ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ **[سورة مريم 04]**.

قول أبي نوّاس:

دَبَّ فِيَّ السُّقَـــامُ سُفْـــلاً وَعُلُـــوًا وَأَزَانِـــي أَمُـــوتُ عُضْـــوًا فَـعُضْـــوًا

2. **الاسترحام والاستعطاف:** في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ **[سورة القصص 16]**.

قول الشّاعر يناجي ربّه:

فَـمَـــالِي حِيلَـــــــةٌ إِلاَّ رَجَـــــائِي لَـعَفْـــوُكَ إِنْ عَفَـــوْتَ وَحُـسْـــنَ ظَنِّي

يَظُـــنُّ النَّـــاسُ بِـــي خَيْـــرًا وَإِنِّـــي لَـــشَرَّ النَّـــاسِ إِنْ لَـــمْ تَـــعْفُ عَنِّي

3. **الإرشاد:** مثل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ **[سورة الرّعد 19].**
4. **التّوبيخ:** في قوله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ **[سورة البقرة 12].**
5. **النّهي:** ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ **[سورة الواقعة 79].**
6. **الدّعاء:** ومنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ **[سورة الفاتحة 5].** أي نحن نعبد إيّاك، ونحن نستعينك[27].
7. **المدح:** قال تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ الّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ **[سورة الزّخرف 85].**
8. **إظهار التّحسّر:** كقوله تعالى حكاية عن امرأة عمران: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ **[سورة آل عمران 36].** إظهار التّحسّر على خيبة رجائها، لأنّها كانت ترجو أن تلد ذكرا.

قال أعرابي يرث ولده:

وَلَمَّا دَعَـــوْتُ الـــصَّبْرَ بَعـــدَ وَالْأَسَـــى أَجَـــابَ الْأَسَى طَـوْعًـا وَلَـمْ يُجِبْ الـصَّبْرُ

9- الفخر: قال عمرو بن كلثوم:

وَنَشْـــرَبُ إِنْ وَرَدْنَـــا الْمَـــاءَ صَفْـــوًا وَيَشْـــرَبُ غَيْرُنَـــا كَـــدْرًا وَطِينًـــا

إِذَا بَـلَـغَ الْـفِطَامُ لَنَـــا صَـــبِيٌّ تَـخِرُّلَـهُ الْـجَبَـابِـرُ سَـاجِدِينَـا

10- الأمر: في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنَ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ... ﴾ **[سورة البقرة 233]**، وقوله أيضا: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ... ﴾ **[سورة البقرة 228]**. فالفعلين " يُرْضِعْنَ " و" يَتَرَبَّصْنَ " صيغة خبرية، اكتسبت معنى الأمر ضمن السّياق الاجتماعي يقول الزّمخشري (ت 538ه): "فما معنى الأخبار عنهنّ بالتّربّص؟ قلتُ: هو خبر في معنى الأمر، وأصل الكلام وليتربّص المطلّقات، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنّه ممّا يجب أن يتلقّى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنّهنّ امتثلن الأمر بالتّربّص فهوّ يخبر عنه موجودا"[28].

11- التّعظيم: في قوله تعالى: ﴿اللهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ أَبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ **[سورة الصّافات 126]**.

12- التّحقير: كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ **[سورة المسد 1]**. فإيراده هنا باسمه دال على تحقيره و إهانته والمعنى: تبّت يدا رجل حقير مهين.

وعليه فإنّ المتأمّل في الأمثلة السّالفة الذّكر، يجد أنّ المتكلّم لا يقصد منها (فائدة الخبر ولا لازم الفائدة)[****]، وإنّما هذه التّراكيب قد خرجت عن قيد الضّربين السّابقين إلى معان أخرى، استدلّ عليها المتلقي ضمن سياق الحديث، ففي قوله تعالى مثلا على لسان زكرياء عليه السّلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَ لَمَ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ **[سورة مريم 04]**، حمل التّركيب قوة إنجازية خرج فيها التّركيب من حدّ الإخبار إلى إظهار الضّعف والرّجاء، فزكرياء –عليه السّلام- لم يُظهر لله سبحانه وتعالى إلاّ الضّعف والحاجة؛ فهو يعلم أنّ الله سبحانه وتعالى على يقين بما يعلمه هو، لذا لم يكن قصد زكرياء -عليه السّلام- الإخبار وإنّما إظهار الضّعف والرّجاء. ولمعرفة هذا المعنى كان لزاما على المحلل التّداولي أن يدرك القرائن السّياقية المحيطة بالخطاب، فيعلم من هو زكرياء –عليه السّلام_ وما كان عليه من الضّعف، ويعلم أنّ الله عالم بما في نفوس عباده، إضافة إلى ذلك يجب إدراك جملة من الأمور الدّينية التي تربط العبد بربّه، وغيرها من العوامل المحيطة بالسّياق التي ينبغي على المتلقي الاستعانة بها لإدراك القوة الإنجازية؛ أي القصد من الخطاب[29]، فالمتكلّم الذّكي "هو القادر على وضع كلّ شيء في مكانه اللاّئق المناسب، وهو الّذي يغوص في أعماق نفس الإنسان الّذي يخاطبه فيفهم ما يختلج فيها، ويدور في حناياها وحينئذ يختار الكلمة المناسبة لهذا الإنسان وذلك مقتضى الحال"[30]، فالسّياق هو الّذي يحدّد الغرض من الخبر؛ فالمتكلّم يجب عليه مراعاة حالة المتلقي عند إلقاء الخبر، وفق ما يقتضيه الحال وما يجب لكل مقام من مقال.

خـــاتمة:

وفي الأخير، بعد هذا العرض الموسوم: **(ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث البلاغي العربي "قانون الخبر عند السّكاكي أنموذجا")**، والذي حاولنا من خلاله أن نقف عند هذه الظّاهرة في التّراث البلاغي العربي، فتوصّلنا إلى مجموعة من، النّتائج، منها على سبيل الذّكر لا الحصر:

- لقد تطرّق السّكاكي (ت 626ه) في قانون الخبر إلى دراسة مختلف التّراكيب الخبرية، ضمن ما يسمّى "أضرب الخبر"، وأبان الرّجل من خلالها عن مظاهر تداولية والتي تكمن في تمييزه بين أضرب الخبر (الابتدائي، الطّلبي، الإنكاري)، عن طريق مراعاته لقصدية المتكلّم، وحال المتلقي وسيّاق الخطاب.
- لقد وُجدت ظاهرة الاستلزام الحواري في التّراث البلاغي العربي، وقُدّمت اقتراحات عديدة لوصفه.
- يخرج الخبر من معناه الأصلي إلى المعنى الفرعي، حين يمتنع إجراؤه على الأصل، فيتولّد عنه معنى آخر غير المعنى الأصلي الذي وُضع له وفق المقام الذي قيل فيه؛ وهذا ما يُعرف في الدّراسات الغربية بالمعنى المستلزم حواريا.
- المعنى الصّريح أو الحرفي هو المعنى الذي تدلّ عليه العبارة اللّغوية بلفظها، بينما المعنى المستلزم هو المعنى الذي يُفهم من خلال السّياق أو الموقف التّواصلي الذي ورد فيه.
- يتمّ الانتقال من المعنى الصّريح إلى المعنى المستلزم حواريا عن طريق خرق أحد قواعد الحوار.
- لا يمكن فهم المعاني المستلزمة بمعزل عن السّياق الذي أُنجزت فيه الجملة.
- قد يخرج الخبر عن مقتضى الظّاهر، فلا يُراد به إفادة المتلقي، وهو ما يسمّى فائدة الخبر أو لازم الفائدة، بل يكون المراد به شيئا آخر؛ كإظهار الضّعف، أو الإرشاد أو الفخر... إلخ.

قائمة المصادر والمراجع:

[1] محمّد الصغير بنّاني، النّظريات اللّسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتّبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، السّاحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1994.

[2] محمّد السّيدي، إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، ، مجلّة فكر ونقد، الرّباط، المغرب، س3، العدد25، 2000.

[3] ليلى كادة، ظاهرة الاستلزام التّخاطبي في التّراث اللّساني العربي، مجلة علوم اللّغة العربية وآدابها، المركز الجامعي بالوادي، العدد1، مارس 2009.

(4) خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية "مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم"، ، بيت الحكمة للنّشر والتّوزيع، العلمة، سطيف، الجزائر، ط1، 2009.

(5) أحمد المتوكّل، اللّسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ، الرّباط، المغرب، د ط، 1989.

(6) حافظ إسماعيلي علوي، التّداوليات علم استعمال اللّغة، تقديم وتنسيق: عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، إربد، الأردن، طـ2، 2014.

(7) العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني، دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط1، 2011.

(8) السّكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

(9) عبد العليم بوفاتح، دراسة المعنى عند البلاغيين، مجلة الآداب واللّغات، كلية الآداب واللّغات، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد7، فيفري 2011.

(10) رضوان الرّقبي، البلاغة والحجاج "بحث في تداوليات الخطاب"، أفريقيا الشّرق، المغرب، ط1، 2018.

(11) نعيمة الزّهري، الأمر والنّهي في اللّغة العربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرّباط، د ط، 1997.

(12) عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان، ط1، 2009.

(13) أحمد فهد صالح شاهين، النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2015.

(14) ملاّوي صلاح الدّين، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، مجلّة كلّية الآداب والعلوم ا إنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد4، جانفي 2009.

(15) ديك الجن، ديوان ديك الجن الحمصي، حقّقه وأعدّ تكملته: أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، دار الثقافة للنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 1964.

(16) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

(17) يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، منشورات مؤسّسة النّشر، طهران، إيران، د ط، د ت، ج3.

(18) عبّاس حشّاني، خطاب الحجاج والتّداولية "دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي"، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014.

(19) سعد الدّين التفتازاني، المطوّل "شرح تلخيص مفتاح العلوم"، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2013.

(20) - الصّاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

(21) عبد المنعم خليل، - نظرية السّياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، مصر ط1، 2007.

(22) أحمد مطلوب، - أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980.

(23) سمير شريف استيتية، رياض القرآن "تفسير في النّظم القرآني ونهجه النفسي والتربوي عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2005، ج1.

[24] الزّمخشري، تفسير الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009.

[25] بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 2001، ج1.

هوامش البحث:

[1] محمّد الصغير بنّاني، النّظريات اللّسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتّبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، السّاحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1994، ص217

[2] ينظر: إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، محمّد السّيدي، مجلّة فكر ونقد، الرّباط، المغرب، س3، العدد25، 2000، ص101

[3] ليلى كادة، ظاهرة الاستلزام التّخاطبي في التّراث اللّساني العربي، مجلة علوم اللّغة العربية وآدابها، المركز الجامعي بالوادي، العدد1، مارس 2009، ص106

[4] ينظر: إشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحواري، محمّد السّيدي، ص105

[5] ينظر: في اللّسانيات التّداولية "مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم"، خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنّشر والتّوزيع، العلمة، سطيف، الجزائر، ط1، 2009، ص200

[*] اسمه الكامل هربرت بول غرايس (Herbet Paul Grice)، هو فيلسوف إنجليزي، ولد في 1913/03/15 في برمنغهام بإنجلترا، درس في أكسفورد ودرّس فيها من عام 1938 إلى غاية 1967، ثمّ هاجر إلى الولايات المتّحدة الأمريكية، حيث نال درجة الأستاذية في جامعة كاليفورنيا، وواصل التّدريس فيها إلى أن وافته المنية عام 1988. اشتهر غرايس بإسهاماته في فلسفة اللّغة وبخاصة تحليله للمعنى لدى المتكلّم.

[6] أحمد المتوكّل، اللّسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ، الرّباط، المغرب، د ط، 1989، ص37

[**] الاستلزام الحواري: هو ظاهرة تهتمّ بكيفية الاستعمال اللّغوي، أرسى دعائمها بول غرايس (P. Grice)، وهي تقوم على مبدأ عام يقضي بتعاون المتخاطبين، بهدف تحقيق الفعالية القصوى لتبادل المعلومات، ومفاده: (لتكن مساهمتك في التّخاطب ملائمة لِمَا يقتضيه الغرض منه حين تشارك فيه). وتقوم هذه الظاهرة على افتراض مجموعة من القواعد الصّادرة عن اعتبارات عقلية، تجعل من السّلوك اللّغوي فعلا ناجحا، وتساعد على رصد الاستلزام الحواري باعتباره خرقا مقصودا لقاعدة من القواعد. ينظر: السّميو لسانيات وفلسفة اللّغة، عبد السّلام إسماعيلي علوي، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2017، ص27-28

[***] هوّ سراج الدّين يوسف بن أبي بكر محمّد بن علي أبو يعقوب السّكاكي الخوارزمي، ولد عام 555هـ في قرية من قرى خوارزم، ونرجّح أنّ نسبته كانت إلى صنعة السّكة، لأنّه كان صانعا يشتغل بالصّناعات الحديدية اليدوية، كان عالما متبحّرا في اللّغة والصّرف والنّحو والبلاغة، من أهم مؤلّفاته كتاب "مفتاح العلوم" وهو

الكتاب الوحيد المطبوع، وجمع فيه الصّرف والنّحو والمعاني والبيان والبديع والقوافي والأوزان إلى جانب علم الاستدلال.

(7) ينظر: التّداوليات علم استعمال اللّغة، تقديم وتنسيق: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، إربد، الأردن، ط2، 2014، ص296

(8) ينظر: الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني، العياشي أدراوي، دار الأمان، الرّباط، المغرب، ط1، 2011، ص26

(9) السّكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص163

(10) ينظر: الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني، العياشي أدراوي، ص26

(11) عبد العليم بوفاتح، دراسة المعنى عند البلاغيين، مجلة الآداب واللّغات، كلية الآداب واللّغات، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد7، فيفري 2011، ص109-110

(12) رضوان الرّقبي، البلاغة والحجاج "بحث في تداوليات الخطاب"، أفريقيا الشّرق، المغرب، ط1، 2018، ص41

(13) نعيمة الزّهري، الأمر والنّهي في اللّغة العربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرّباط، د ط، 1997، ص55

(14) السكاكي، مفتاح العلوم، ص161

(15) عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان، ط1، 2009، ص46

(16) ينظر: النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة، أحمد فهد صالح شاهين، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2015، ص38

(17) حافظ إسماعيلي علوي، التّداوليات علم استعمال اللغة، ص516

(18) ملاّوي صلاح الدّين، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، مجلّة كلّية الآداب والعلوم ا إنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد4، جانفي 2009، ص11

(19) ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص170-171

(20) ديك الجن، ديوان ديك الجن الحمصي، حقّقه وأعدّ تكملته: أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، دار الثقافة للنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 1964، ص194

(21) أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، وكالة الطبوعات، الكويت، ط1، 1980، ص87

(22) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص23

(23) يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، منشورات مؤسّسة النّشر، طهران، إيران، د ط، د ت، ج3، ص 253-254

(24) عبّاس حشّاني، خطاب الحجاج والتّداولية "دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي"، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014، ص38

(25) السكاكي، مفتاح العلوم، ص271-272

(26) ينظر: - المطوّل "شرح تلخيص مفتاح العلوم"، سعد الدّين التفتازاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2013، ص179

- الصّاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص133-134

- نظرية السّياق بين القدماء والمحدثين، عبد المنعم خليل، دار الوفاء، مصر ط1، 2007، ص177

- أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980، ص103-105

(27) ينظر: رياض القرآن "تفسير في النّظم القرآني ونهجه النفسي والتربوي"، سمير شريف استيتية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2005، ج1، ص17

(28) الزّمخشري، تفسير الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ص132

(****) فائدة الخبر: بمعنى إفادة المخاطب الحكم الذي تضمّنه الجملة، ويسمّى ذلك الحكم فائدة الخبر، مثال: ولد النّبي ﷺ عام الفيل، وأوحي إليه في سنّ الأربعين، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشرا. لازم الفائدة: بمعنى إفادة المخاطب أنّ المتكلّم عالم بالحكم، ويسمّى ذلك لازم الفائدة". بنعيسى عسو أزاييط، نظرية "كرايس" والبلاغة العربية، مجلّة مكناسة، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، العدد 13، ص81

(29) ينظر: التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية، أحمد فهد صالح، ص40-41

(30) بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 2001، ج1، ص70